المحاضرة الخامسة: المعـــالم الأثرية والتنمية الثقافيـة الأثرية.

– متـحف أبي الحسن التنسي أنموذجاً–

تمهيد:

تعتبر المعالم الأثرية على اختلاف أصـولها وأنواعها همزة وصـل بين ماضـي الأمم وحاضـرها في المجال الثقافي والاجتماعي، باعتبارها نتاج فكري لما جادت به قريحة الإنسان من خبرات في العصور الغابرة، ولعل مسـجد أبي الحسـن التنسـي كغيره من البصـمات التي تحمل بعداً ثقافياً التي تسـاهم في التنمية الثقافية الأثرية بعد دمجها في الحياة اليومية.

1–مفهوم دمج التراث:

يقصـــد به مجموع الخطوات اللازمة لإعادة بعث الحياة من جديد في المعلم التاريخي، وهو أحد أهم الوسائل التي تثمن التراث عامة، وتمنع اندثاره عبر إعطائه وظيفة تليق به ، وهناك من يطلق عليه اسم الحفاظ التكاملي، لأنه يشمل أعمال الصيانة والترميم، ونفس الوقت اقتراح وظيفـــة جـــديـــدة تلبي حاجيات المجتمع المعاصـــر، وتتوافق إلى حدّ بعيد مع ماهية المعلم التاريخي، وتترادف كلمة الدمج مع إعادة الاستخدام التي يقصد بها . وضع جملة من المحددات لإعادة المبنى لصورته الأصلية.

2–لمـحة تاريخية عن متحف أبي الحسن التنسي:

شيد هذا المسجد من طرف السلطان أبي سعيد عثمان بن أبي يحي يغمراسن، أخذ اسم العالم الجليل سيدي أبي الحسن علي بن يخلف التنسي أحد القضاة والفقهاء، يعود أصله إلى مدينة تنس ثم رحل منها إلى مدينة تلمسان، كان يلقي الدروس في هذا المسجد وكذا في الجامع الكبير، في حين أن كتابة تأسيسية منقوشة تنص في لوحة من المرمـــر الأخضر اللون بخط أندلسي تنص أنه بني للأمير أبي عامر إبراهيم،وقد جاء فيها: "بني هذا المسـجد للأمير أبي عامر إبراهيم ابن السـلطان أبي يحي يغمراسـن بن زيان عام 696هـــ " ، وقد كُرّر هذا النص بخط كوني فوق الإطار الذي يلف المحراب، وذكر جيورج مارسـيه أن مؤسـسـه السـلطان أبي سـعيد عثمان بن أبي يحي يغمراسـن أوقف عليه بعض المنشـآت المعمارية تمثلت في عشرين حانوتاً من جهة القبلة ومسكنين واحد للإمام والآخر للمؤذن.

رغم المساحة الصغيرة لهذا المسجد فهو يعتبر آية في الفن المعماري الإسلامي ، فهو يحتوي على بيت صلاة مربع الشكل تبلغ مساحته حوالي 100م، به ثلاثة أروقة أعمدتها من الرخام متوجة بتيجان تعلوها أقواس على شكل 2 حدوة الفرس يستند عليها سقف من الخشب ، ويكتنف الجدار القبلي للمسجد المحراب مقابل الرواق الأوسط، لقد تمت تكسيته بزخرفة رائعة الصنع، تتدلى من قبته التي تنتصب على أعمدة من الرخام المقرنصات، قوسه على شكل حدوة فرس يستند على عمودين مصنوعين من الرخام، تنتصب مئذنته المربعة الشكل في الزاوية الجنوبية الشرقية من المسجد بارتفاع قدره 14.25م مبنية من الآجر، يتم الوصول إلى الجوسق بسلم دائري يحيط بنواة مركزية، وفيما يخص زخرفتها فقد جاءت على شكل بوائك مستطيلة بعضها يتضمن مجموعة من المعينات المتشابكة فيما بينها، وبعضها الآخر عقود.

3- نبذة عن وسط عرض المتحف:

يحمل هذا المسجد بصمة معمارية فنية راقية عبر ما تضمنه من مواد بناء متناسقة مع الزخرفة التي أنجزت فوقها، وهو ما جعله يعكس ما كان للعمارة الإسلامية في الدولة الزيانية على اختلاف أنواعها خاصة الدينية ما كان لها من مستوى فني راقٍ وذائع الصيت بين قريناتها من الدول التي تتقاسم معها نفس البقعة الجغرافية ونفس الدين.

تمَّ دمج مسجد أبي الحسن التنسي على إثر احتضان مدينة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية سنة 2011، وقد وظف كمتحف خاص بالمخطوطات يحتوي المتحف حاليا على 24 مخطوط موضوع للعرض نذكر منها :

-الإتقان والإحكام في شرح تحفه الحكام لأبي عبد الله محمد بن أحمد ميارة الفاسي.

-قاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي.

-الجامع الصحيح للإمام مسلم.

رسالة ابن أبي زيد القيرواني، لأبي الحسن علي المالكي.

المختصر في علم المنطق لأبي عبد الله السنوسي الحسني. ونظراً لخصوصية المبنى فلم يتم تعديل أي شيء من تصميمه المعماري حفاظاً على أصالته، يتضمن المتحف ثلاثة قاعات كما هو مبين في المخطط أسفله ، وتجدر الإشارة أن اللون الأحمر هو المساحة الخاصة بالمسجد أما المتبقيتان قاعات، كما هو مبين في المساكن العتيقة الملتصقة معه، وقد تم دمجها معه.

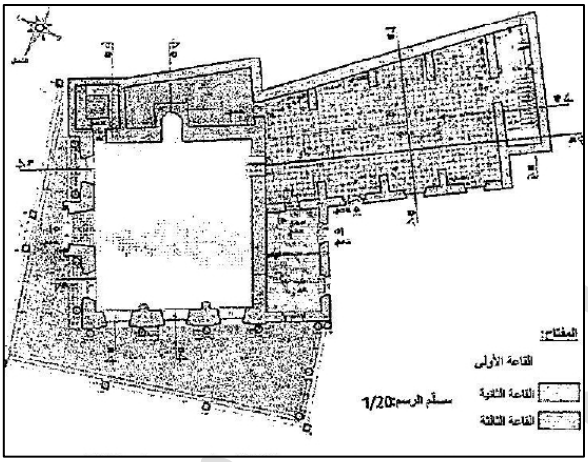

المخطط رقم 01: يبين تصميم قاعات عرض متحف سيدي أبي الحسن التنسي.

تقع القاعة الأولى التي كانت في الأصل بيت صلاة المسجد، تقع عند مدخل المتحف، تتضمن عدداً من الواجهات الزجاجية المنتصبة على الأرض لعرض المخطوطات ، تليها القاعة الثانية التي تقع في الزاوية الشمالية الغربية، وهي أصغر القاعة السابقة، تتضمن هي الأخرى جملة . من من التحف المتمثلة في المخطوطات، وقد عثر فيها على بئر أثناء القيام بعملية الترميم التي سبقت دمج المسجد في هذه الوظيفة ، ثم تأتي القاعة الثالثة التي توجد في الزاوية الجنوبية الغربية، وهي تعتبر أكبر قاعات المتحف. المتحف لا ينحصر دوره في عرض المخطوطات للزوار، إنما يقوم بين الفيئة والأخرى بنشاطات ثقافية في التراث الذي يمتد من شهر 18 أفريل إلى 18 ماي من كل سنة، إضافة إلى تظاهرات أخرى كتنظيمه . للخط معرض العربي داخل المتحف. تجدر الإشارة إلى أنه ليست المرة الأولى التي يتم فيها دمج هذا المسجد في الحياة المعاصرة ، فقد قام المستدمر الغاشم بذلك عقب احتلاله مدينة تلمسان، حيث حوله إلى مستودع لعلف الحيوانات، ثم إلى متحف في بداية القرن العشرين.